**المخدرات الرقمية من منظور فقهي**

أ.د. ساجدة طه محمود

قسم علوم القرآن- كلية التربية للبنات – جامعة بغداد

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه... أما بعد

قبل الولوج في بيان التكييف الفقهي الخاص بالمخدرات الرقمية، لابد أولا من بيان ماهية هذه التقنية المعاصرة وتاريخ نشوئها.

**تعريف المخدرات الرقمية:** تعددت تعريفات العلماء من ذوي الاختصاص وغيرهم في إعطاء تعريف محدد بشأن المخدرات الرقمية، إذ اختلف التعريف بالاختلاف الاختصاص، وما يهمنا من هذه التعريفات هو التصور العام لهذه التقنية دون الولوج في جزئياتها: فتعرف المخدرات الرقمية بأنها: "عبارة عن خلطات من أصوات أو دقات، أو نغمات أو ترانيم موسيقية ترسل بذبذبات مختلفة ومتفاوتة في القوة، وذلك بهدف التأثير على موجات الدماغ؛ لتحاكي حالات مزاجية أو نفسية مختلفة " .

والسبب الذي دعا العلماء اطلاق لفظة المخدرات لهذه الأصوات كونها تشترك مع المخدرات التقليدية في حصول حالة الإدمان، الذي يسبب الاضطراب النفسي والجسدي معا، عند محاولة الإقلاع منها مع اختلافٍ بينهما، في أن المخدرات التقليدية تحدث الإدمان العضوي والنفسي معا، بخلاف المخدرات الرقمية التي تحدث الإدمان النفسي فقط، كذلك كلا منهما يحدث تأثيراً على العقل، يتعود عليه ويغير موجاته ومزاجه عن طريق حث المخ على فرز مواد معينة، تحث العقل على فرز هرمونات تتسبب في تغيير المزاج، وسيأتي تفصيل ذلك.

**تاريخ نشأة المخدرات الرقمية:** اختلف أهل الخبرة في بداية ظهور المخدرات الرقمية فمنهم من يقول: إن ظاهرة المخدرات الصوتية أو النقر على الأذنين ظاهرة علمية قديمة، يصل عمرها إلى أكثر من مائة وخمسين عاما، وظلت حبیسة الأدراج والمكاتب داخل المراكز الصوتیة والعصبیة، الى أن فكَّر الألمان في الاستفادة منھا في العلاج النفسي .

ومنهم من قال: إن بدايتها يرجع إلى عام ١٨٣٩ عندما اكتشف العالم الفيزيائي ( الألماني ھنریش دوف) أنها يمكن العلاج النفسي بالموسيقى، عن طريق تسليط ترددين مؤلفين من نغمتين مختلفتين في درجة الصوت قليلا عن بعضهما، لكل أذن من أذني المريض، أو إرسال صوت واحد على ذبذبتي إرسال مختلفتين، فإن المستمع سيرك صوتا ثالثا في أذن المستمع لم يتم إرسالها، وإن المخ سوف يؤلف بين الصوتين ويوحد بينهما في ذلك الصوت الثالث الذي لم يتم إرسالها، فأخذ منها الأماني (دوف)، ومن بعده أن الموسيقى أثرت على إفرازات المخ جراء تعرضها لهذه العملية السماعية، فقام المخ بدمج الإشارتين إلى إشارة واحدة، عرفت فيما بعد بظاهرة (البنرال بیتش ) تلك المعلومة أرشدت علماء الأعصاب بعد إجراء بعض التجارب إلى نتيجة مفادها: أن بعض الذبذبات والموجات الصوتية يمكن أن يكون لها علاقة تأثيرية عقلية على موجات الدماغ لدى الإنسان، بينما يرى فريق كبير ممن كتب في المخدرات الرقمية أن تلك المعلومة التي اكتشفها الألماني ( دوف )، واستنتج منها علماء الأعصاب تلك النتيجة هي ذاتها التي استغلها المجرمون في انتاج أو تصميم أو تأليف تلك المخدرات الصوتية الرقمية في القرن الواحد والعشرين وقد استخدمها الأطباء النفسيون لأول مرة عام ١٩٧٠ من أجل علاج بعض المرضى النفسيين، لاسيما الاكتئاب الخفيف والقلق، وذلك عند رفضهم العلاج الدوائي، إذ كان يتم تعريض الدماغ إلى ذبذبات كھرومغناطیسیة، تؤدي لفرز مواد منشطة لتسريع معدلات التعلم وتحسين دورة النوم، وتخفيف الألم، وإعطاء إحساس بالراحة والتحسن، والمواد السابقة المنشطة من شأنها التأثير في الجسم والعقل معا بطريقة تشبه تأثير المخدرات لطبيعية، وبينما تبنت بعض المواقع الإلكترونية فكرة الترويج لتلك المخدرات الرقمية بأنه يمكن استخدام هذه التقنية لعلاج القلق والتوتر .

**الحكم الشرعي للمخدرات الصوتية الرقمية:** معناه: إلحاقها بما يناسبها من أبواب الفقه ومسائله وذلك تهيئة لبيان الحكم الشرعي لها.

يمكننا القول أن المخدرات الرقمية لا تخرج من أمرين أثنين، هما: الأول: **المعازف وآلات اللهو،** والثاني: **المخدرات التقليدية.**

الأول: إدراج المخدرات الصوتية الرقمية ضمن المعازف وآلات اللهو، ويمكن الوصول إلى هذا الحكم الشرعي من خلال ما يلي، أولا: من حيث طبيعة المخدرات الصوتية الرقمية إذ ظهر لنا سابقا عند التعريف باهية المخدرات الصوتية إذ اتضح لنا أنها: عبارة عن: ملفات صوتية تم تأليفها من خبراء مختصين في تأليف مقطوعات موسيقية معينة، صممت لهدف معين هو: التأثير على موجات دماغ مستمعها، ليكون المخ أسيراً لهذه النغمات، فيفرز هرمونا يتوافق مع تلك النغمات، ليشعر مستمعها بالاسترخاء ، أو السعادة أو الحماسة والجرأة، ومن ثم فإن تلك الموسيقى تحركها نحو مشاعر معينة؛ ليحقق من سماعها أهدافا معينة يريدها ويخشاها، فتلك الموسيقى تمنحه تعزيزا نفسيا لأمر معين، وبناء على ذلك فالمخدرات الرقمية عبارة عن مادة موسيقية مخصوصة تم تصميمها؛ لتؤثر على الحالة المزاجية.

كما أن هذه الملفات الصوتية الرقمية صممت خصيصا لمحاكاة الهلاوس والانتشاء المصاحب لتعاطي المخدرات التقليدية، إذ يتم الاستماع لها من خلال سماعات الأذن، وتؤدي إلى خلق أوهام لدى المستمع تنقله من الوعي إلى اللاوعي، أما الموسيقى العادية، فتعرف بأنها: علم يعرف منه النغم والإيقاع، ثم أن الموسيقى العادية تؤلف بقصد التأثير في نفس مستمعها على حسب ما تؤلف له فقد تُنْظَم لتحث على الهدوء والاسترخاء أو الحماسة أو الاثارة أو غيرها، وهو ما يشعر به مستمع المخدرات الرقمية وبناء عليه: تتشابه المخدرات الصوتية الرقمية مع الموسيقى العادية في طبيعة المادة الصوتية من حيث كونها مادة نغمية من وضع خبراء في علم الموسيقى كما أن كلاهما يخضع لعلم رياضي منهجي محسوب؛ لمحاكاة وضع معين في المزاج، ومن ثم ينتفي عنهما صفة العشوائية أو العفوية**.**

ولكنها إي المخدرات الصوتية الرقمية تختلف عن الموسيقى العادية في كون الأخيرة لا تؤدي إلى صفة الاعتماد المؤدي إلى الإدمان بمفهومه الطبي الخطير على العقل والجسد؛ لأن الإدمان صفة إيحائية نابعة من المخ؛ لطلب الجرعة في موعدا لنقص هرمون معين لا يتولد إلا بالجرعة، ولا يستطيع تركه إلا بعلاج، بخلاف الاستماع إلى المخدرات الرقمية .

علما إن تكرار سماع الموسيقى العادية والمداومة عليها، يحدث تأثيرا لكنه لا يصل إلى الإدمان، ويمكن تفسير المداومة على سماع الموسيقى أنه من قبيل الاعتياد النفسي لا الإدمان، فنجد أن من يكثر من سماع الموسيقى ويداوم عليها تصير له عادة، ولا يتركها إلا مع التوبة أو خروج الروح، فتصبح عنده عادة لا ينفك عنها، ومن ذلك أن من يداوم على سماع الموسيقى يتمتم بإيقاعها وهو يحتضر، حتى إن من حوله يلقنه الشهادة فلا يستجيب، وكأنه قد عقد على لسانه ما أدمنه طوال حياته، قال تعالى ﵟ‌كَلَّاۖ ‌بَلۡۜ ‌رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﵞ، كما قد يحدث الاعتياد بأمر مشروع، مثل مَن يداوم على سماع القرآن وحفظه وترتيله يتأثر به ويتعود عليه حتى يموت عليه.

لاشك أن في سماع المخدرات الصوتیة متعة ونشوة واسترخاء وإثارة للغرائز وتحريض على الفسوق و كل ذلك موجود في سماع بعض أنواع من الموسيقى التي تتسم بذلك، قال بعض أهل التفسير: "إن سماع الموسيقى فيه متعة، لكنها متعة محرمة، فمتعاطيها كالذي يستمتع بشرب الخمر، أو يستمتع بغير ذلك مما حرمه الله، فإنه يجد في ذلك متعة، ويجد ميلا طبعيا في نفسه لهذا الشيء" فيظهر أن الموسيقى الماجنة تحدث المتعة المحرمة، ومن ثَم تتشابه معها المخدرات الرقمية وتقاس عليها من هذه الناحية، وبناء على ما سبق: يمكن ادراج المخدرات الرقمية ضمن المعازف أو الموسيقى وسماع آلات اللهو من ناحية الشبه في مادة الصوت، والتأثير بالعادة على المخ، كما أن كلاهما يشتمل على متعة ومجون قد يوصلان إلى محرم. ـ وتفترق عن الموسيقى العادية في إحداث صفة الاعتماد الموصل للإدمان الفسیولوجي.

من خلال العرض السابق أن المخدرات الرقمية تشبه الموسيقى في أمور، وتشبه المخدرات في أمور أخرى، وكلاهما يشتمل على محظور شرعي، فهي تشبه الموسيقى الماجنة وآلات اللهو المحرمة، من ناحية كونها مادة صوتية لها إيقاعات أو نغمات أو ضربات تصل إلى المخ عن طريق الأذنين في سامعها، وتسبب الاعتياد النفسي عليها، فهي من هذه الناحية يمكن إدراجها في باب المعازف واللهو المضر لمن يسمعها، وقد توصله إلى ارتكاب المحرمات. كما أنها تشبه المخدرات التقليدية، من ناحية كونها تؤثر بالفتور والتشويش على العقل، ويحصل بتعاطيها حالة الإدمان الذي يحاكي إدمان المخدرات التقليدية، أو المرقدات أو المفترات في الفقه الإسلامي، فهي من هذه الناحية يمكن إدراجها في باب المخدرات أو المرقدات أو المفترات في الفقه الإسلامي.

بناء على ما سبق أقول: إن هذه المخدرات الرقمية اجتمع فيها أوصاف الموسيقى التي تصد عن الحق وتوقع مستمعها في المعصية، وهذا ثابت في الكتاب والسنة، كما اجتمع فيها بعض أوصاف المادة المخدرة من كونها تحدث إدمانا نفسيا مرده إلى الأثار السلبية على الدماغ من إحداث بطء في التفكير وبطء في استرجاع المعلومات الفورية واختلال في الاتزان والتركيز، وهذا ثابت من أقوال أهل الخبرة.

وعليه توجد صعوبات في إلحاق تلك المخدرات الرقمية بباب واحد منهما؛ نظرا لوجه الشبه معا، كما سبق وفصلناه . وفي هذه حالة يجد رجال الفقه الإسلامي من الباحثين والعلماء صعوبة في إلحاق مسألة معاصرة ونازلة مستحدثة ضمن باب واحد وترك الآخر؛ نظرا لكثرة أشباه تلك النازلة بأكثر من باب أو فرع فقهي.